عنوان الخطبة : أريد العفاف .

﴿ الأولى ﴾

أريد العفاف... أريد أن أتزوج... هذا نداء نشرته إحدى المجلات المحلية لشاب يحكي قصته فيقول: أريد العفاف... أريد أن أتزوج... يغلبني الحياء، ويكسوني الخجل، لكني أريد أن أتزوج، أقولها بكل قوة، أعلنها صريحة وواضحة، لا لبس فيها ولا غبش أريد العفاف، أنا شاب بلغت الثامنة عشرة من عمري، صحيح الجسم، قوي البنية أواصل دراستي بكل جد واجتهاد، وهذا العام تخرجت من المرحلة الثانوية وأريد أن أتزوج فقط، لا مانع صحي لدي، ولا مانع مادي، ولا صعوبة في اختيار زوجة صالحة لي...

إذاً فما المشكلة ؟

أقولها بصراحة: المشكلة في ( والدي حفظه الله ورعاه )، فوالدي ما زال يراني صغيرا ولست بأهل للزواج، سؤال آخر أتوقعه ولماذا العجلة في الزواج؟

وها أنا أقولها بصراحة إنني شاب أتفتق حيوية ونشاطا وشبابا، والمغريات من حولي، والتيار الجنسي لا يبقي ولا يذر، وأراه يلاحقني في ذهابي، وإيابي، وعند نومي، واستيقاظي، وسط خواء روحي، وضعف إيماني والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وأجد في نفسي الباءة الشرعية لكي أتزوج ، فأنا بعرف الرجال رجل، أريد أن أتزوج... أريد العفاف..

يا أبتاه قلتها مرارا، أريد العفاف، يا أماه أريد أن أتزوج... أريد أن أتزوج أيها الناس أريد أن أعصم نفسي وأحصنها وأحميها من همزات ووساوس شياطين الإنس والجن، أريد أن أكمل نصف ديني، وأن أبني رجولتي، أريد لي ابنا يكبر معي وأصادقه وأتخذه أخا، أريد بيتا تسكنه زوجة تعينني على طاعة الله، أريد أن أتزوج. (انتهى كلامه)

أجيبوا يا رجال، كيف يطيب العيش لهذا الشاب وأمثاله؟ كيف يؤدي دوره في الحياة؟ كيف تسكن نفسه ويرتاح فؤاده؟ كيف يؤدي أوامر الله ويجتنب حدوده؟

يقول بعض الكتاب في مقال له نشرته مجلة البحوث الإسلامية عدد ((33ــ ص288)) : "إن الغريزة الجنسية حقيقة في التكوين البشري، بل تعد من أقوى الغرائز الملحة على الإنسان من داخله وخارجه وخصوصا في المرحلة الباكرة من شباب الإنسان، بحيث يؤدي احتباسها إلى تصدع العقل وشرود الذهن وخلخلة العاطفة، والزواج أحسن وضع جبلّي لاعتدال الشهوة، لأنه يكسر ولا بد من حدّة الشهوة المجنونة الثائرة واللذة العارمة".

نعم عباد الله إن نار الشهوة في أعصاب الشاب المسلم هي داء الشباب في كل حين، ولطالما أرقت الكثير من بني قومنا صغارا وكبارا، ولطالما نفت عن عيونهم لذيذ العيش، وأوهنت من عمل العامل وتفوق الطالب، فخطر الطاقة الجنسية أعظم من خطر الطاقة الذريّة، وإن الحديث عن الأزمة الأخلاقية لا يقل عن الحديث عن الأزمة السورية وانحراف وضلال الشيعة المجوسية، فما من دقيقة ولا لحظة تمر إلا ويقع شبابنا وفتياتنا تحت تأثير الضخ الإعلامي الذي تمارسه وسائل الإعلام بجميع قنواتها ليلاً ونهارا من إشعال نار الشهوات، والقصف الجنسي على بيوتنا وأخلاقنا بخيلها ورجلها.

وحقّ لنا ورب الكعبة أن نخشى على أنفسنا ونخشى على أبنائنا وبناتنا .

ولو أقسمت لا أحنث أن الطغيان الجنسي قد طغى وبغى وعدى واعتدى وأخشى وغزا بيوتا عرفت بالعفّة والعفاف ، فكسرت الحواجز وقلّ الحياء وهرب الفتيات من رقّ الأمهات والآباء، وأقولها مراراً وتكرارا أن الخطر والكارثة تكون على الفتاة أكثر من الأبناء ... نعم

فالشاب يجني الجناية ويقع في الجريمة ويمضي خفيفا من العار حاملا للإثم العظيم الذي سيلقي عاقبته ما لم يتب من ذنبه وخطيئته

تفنى اللذَاذَةُ مِمَّنْ ذَاقَ صَفْوَتَهَا مِنَ الحَرَامِ وَيَبْقى الإثُم وَالعَارُ

تَبْقى عَوَاقِبُ سُوءٍ فِي مَغَبَّتِهَا لاَ خْيَر فِي لَذَّةٍ مِن بَعْدِها النَّارُ

لكن الفتاة هي التي تحمل عواقبها وتتجرع غصصها وتعيش مرارتها ، الفتاة هي التي تحمل ثقلا في بطنها وعارا على جبينها؛ فالشاب قد يتوب فيتوب الله عليه ويقبل المجتمع توبته ، لكن الفتاة وإن تابت فهل يقبل المجتمع ؟ هل يقبل العرف ؟ هل يقبل العار والقبيلة توبتها ؟

ولست أدري والله من أين أتي بكلمات يفهمها الآباء والأمهات في ترسيخ هذه الحقيقة في نفوسهم؟ بأي لغة يفهمون؟ وبأي يمين يصدقون؟ وبأي عين ينظرون؟ وبأي عقل يفكرون؟

إن النتيجة التي ينبغي أن يعلمها الآباء والأمهات أن كثيرا من الأبناء والبنات يصرخون .

يصرخون في خلواتهم وجلواتهم .

فكم من شاب يشكوا إذا فتح الكتاب لا يعي ما يقرأ وإذا آوى إلى فراشه تسمّرت عيناه فلا ينام .

فالليل حب والنهار حب وبين الحب والحب تذوب الأفئدة وتحترق بألم النار والشهوة فتصرخ.

متى يكون الزواج ؟ متى يكون العفاف ؟ متى السكن الحقيقي ؟ متى تيسّر أمور الزواج ؟

لماذا آباؤنا يمنعون ويرفضون ولا يساهمون ولا يساعدون ؟

وإحصائيات الفتيات العوانس في بلادنا مع نهاية العام المنصرم قد ارتفعت أعدادهن إلى أكثر من 45% لم يتزوجن.

وهذا سؤال يتقدم به شاب أحسبه من الأخيار إلى اللجنة الدائمة للإفتاء نقلته مجلة البحوث الإسلامية في عددها الثالث والثلاثين يقول الشاب: أنا شاب في سن التاسعة عشرة ولله الحمد أؤدي الصلوات كلها في المسجد جماعة، وأحافظ على صلاة الفجر وفي بعض الأحيان أؤذن في المسجد، وأحفظ أكثر من ستة أجزاء من القرآن الكريم، ولكن هناك شيء يضايقني أنني عندما أخلو بنفسي أو عندما أنام أتخيّل وأتصور والعياذ بالله أنني سافرت إلى كذا وارتكبت الفاحشة وصحبت بنات السوء، أفيدوني أثابكم الله؟ ولك أن تعجب إذا علمت أنّ هذه الشكوى والسؤال لشاب أحسبه من الأخيار فكيف بمن يقوم ويستيقظ ويصبح ويمسي تحت تأثير السعار الجنسي بكل صوره.

﴿ الثانية ﴾

يقول عبدالله بن مسعود قال رسول الله : «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ» متفق عليه .

يا معشر الشباب قد وضع الله في الإنسان غريزة لحفظ الذوات البشرية وهي التي يدفعها المرء بالطعام والشراب، وغريزة لحفظ النوع البشري وهي التي يكون بها النسل والذرية، والسؤال يا معشر الشباب متى يأكل الإنسان؟ الجواب: عندما يجوع.

ومتى يتزوج الشاب؟ الجواب: عندما يبلغ ويشتهي النساء، فالجوع الجنسي كالجوع الشخصي، هذا لبقاء النوع وذاك لبقاء الفرد، فالله عز وجل وضع بين جنبي الإنسان منذ بلوغه نارا متقدة إن لم تطفئ بالزواج أحرقت بالألم نفسه وأحرقت بالفاحشة بيوت الناس بل ربما بيوت المحارم، لقد خلق الله الرجال والنساء بعضهم من بعض وضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب فمن طلب الرحمة والمودة واللذة والسكون دخل من الباب والباب هو الزواج وهنا المشكلة الضخمة أننا سددنا طريق الزواج وسهلت طرق الفاحشة والحرام وألقيت الأشواك والعراقيل والعادات والتقاليد التي بنت جسرا من العوائق بين الشباب والفتيات، خذ مثلا: غلاء المهور حتى أصبح المهر في الزواج غاية لا وسيلة، ذكرت صحيفة الرياض في أحد أعدادها أن 75 % من الشباب الجامعي بعد دراسة ميدانية أجريت لهم، أعاقهم عن الزواج ارتفاع المهور وغلائها ناهيك عن شرهة للأب وأخرى للأم وعطايا للأقارب.

وعمر بن الخطاب يقول: ((لَا تُغَالُوا صَدَاقَ النِّسَاءِ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً فِي الدُّنْيَا، أَوْ تَقْوًى عِنْدَ اللَّهِ، كَانَ أَوْلَاكُمْ وَأَحَقَّكُمْ بِهَا مُحَمَّدٌ ، مَا أَصْدَقَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ، وَلَا أُصْدِقَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنَاتِهِ أَكْثَرَ مِنْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً)) رواه ابن ماجه .

وهذه امْرَأَةٌ تعرض نَفْسَهَا عَلَى النَّبِيِّ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زَوِّجْنِيهَا، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ؟» قَالَ: مَا عِنْدِي شَيْءٌ، قَالَ: «اذْهَبْ فَالْتَمِسْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ»، فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: لاَ وَاللَّهِ مَا وَجَدْتُ شَيْئًا وَلاَ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ، وَلَكِنْ هَذَا إِزَارِي وَلَهَا نِصْفُهُ - قَالَ سَهْلٌ: وَمَا لَهُ رِدَاءٌ - فَقَالَ النَّبِيُّ : «وَمَا تَصْنَعُ بِإِزَارِكَ، إِنْ لَبِسْتَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا مِنْهُ شَيْءٌ، وَإِنْ لَبِسَتْهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ مِنْهُ شَيْءٌ»، فَجَلَسَ الرَّجُلُ حَتَّى إِذَا طَالَ مَجْلِسُهُ قَامَ، فَرَآهُ النَّبِيُّ فَدَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «مَاذَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ؟» فَقَالَ: مَعِي سُورَةُ كَذَا وَسُورَةُ كَذَا - لِسُوَرٍ يُعَدِّدُهَا - فَقَالَ النَّبِيُّ : «أَمْلَكْنَاكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ» رواه البخاري .

وتزوج عبد الرحمن بن عوف على وزن نواة من ذهب.

ثم تتوالى العوائق والعراقيل من تكاليف باهظة ونفقات متتابعة وعادات اجتماعية فرضها الناس على أنفسهم تقليدا ومفاخرة ومباهاة، والمصيبة بعد ذلك كله أن تغلق أبواب الحلال بين الشباب والفتيات وتفتّح أبواب الحرام ، فيا من عنده بنات لا تردوا الخاطب الصالح ، فيا من عنده بنات ابحثوا عن الشاب الصالح وإن كان فقيرا ، يا من عنده بنات إني لك ناصح قبل أن تخسر أعز ما تملك وينكس الرأس ،

يقول عقبة بن عامر قال رسول الله «خير الصداق أيسره» رواه الحاكم وصححه الألباني في الجامع 3273 .

وأنتم أيها الشباب عجلوا بالزواج فإنكم لا تطيعون الله بعد إتيان الفرائض وترك المحرمات بأفضل من الزواج.

فعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : «إِذَا تَزَوَّجَ الْعَبْدُ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ نِصْفَ الدِّينِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي النِّصْفِ الْبَاقِي» صححه الألباني في المشكاة 3096 .

وليتذكر الشاب أن النبي قال فيما رواه أبو هريرة: «ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ: الْمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ وَالْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» رَوَاهُ أصحاب السنن وصححه الألباني في المشكاة 3089 .

قال الإمام أحمد -رحمه الله- : "ينبغي للعبد في هذا الزمان أن يستدين ويتزوج لئلا ينظر ما لا يحل فيحبط عمله" . فماذا نقول عن عصرنا ؟

وعلى كل زوج أكرمه الله بزوجة أن يحفظ بيته من وسائل الدمار، وأن يتعقل ولا يبادر بالطلاق لأدنى مشكلة، وعلى المرأة أن تقوم بحق زوجها وأن تعلم أن الطلاق اليوم ليس كالطلاق بالأمس فالمطلقة بالأمس قد تجد من يتزوج بها، أما المطلقة اليوم فقد لا تجد من يتزوج بها .